فصلية علمية- محكمة نصف سنوية. دراسات حديثة في نهج البلاغة. السنة الثانية، العدد الثاني (المتوالي۴).
ربيع وصيف ۱۳۹۸ش/ ۱٤٤۰ق من صفحة ۷۱ الى ۸۲

Biannual Journal *Current Studies in Nahj al- Balaghah*.
Vol. 2, No. 2, Spring & Summer 2019; (Issue 4). pp. 71-82

أسلوب تشجيع العمال وتوبيخهم عند اميرالمؤمنين علي (ع)؛ تأكيدًا على نهج البلاغة

محمد حسن لواساني[۱]، محسن قاسم‌بور[۲]

تأريخ الاستلام: ۱٤٤۰/۰۳/۰۱ **تأريخ القبول: ۱٤٤۰/۰۹/۰۷**

۱. مدرس في جامعة شاهد، دكتوراه تخصصية في علوم القرآن والحديث «الكاتب المسؤول»: smhl72@yahoo.com
۲. أستاذ مشارك في جامعة كاشان، دكتوراه تخصصية في علوم القرآن والحديث: ghasempour@kashanu.ac.ir

A Methodology of Encouraging and Punishing Appointed Agents and Delegates from the Standpoint of Imam Ali (AS), the Commander of the Faithful, with an Emphasis on Nahj-ul-Balaghah

Seyyed Mohammad Hasan Lavasani[1], Mohsen Ghasempoor[2]

Received: 9 November 2018 **Accepted: 13 May 2019**

1. Ph.D in Quran and Hadith Lecturer in Shahed University; smhl72@yahoo.com
2. Associate Proffessor of Quranic Sciences and Hadith, University of Kashan; ghasempour@kashanu.ac.ir

الملخص

كان الإمام على (ع) في عهد حكومته يتعامل مع عماله وولاته بشكل يمثل عبرة للمجتمع البشري. يمكن تقييم جزء من هذه المعاملة في مجالين هما التشجيع والتوبيخ. فكان جزء من هذه التشجيعات في حياة الوالي وجزء بعد وفاته. وكان يقترن بعناصر مثل التعبير عن بعض الكفاءات كالشجاعة والولاء والمكانة السامية لدى الإمام. تجدر الإشارة إلى أنه إلى جانب هذه التشجيعات. فقد حذر أمير المؤمنين (ع) الولاة وأمرهم بمراعاة الحقوق المدنية للمواطنين. وكان توبيخ أمير المؤمنين (ع) لولاته متنوعًا أيضًا من حيث الشدة والضعف في مجموعة متنوعة من الأشكال، وكلها تتضمن نوعًا من التحذير والإنذار. تحلل هذه المقالة طريقة أمير المؤمنين على (ع) في هذا المجال بالمنهج الوصفى التحليلى.

والغرض من هذه المقالة هو تقديم معلومات حول أساليب تعامل الإمام (ع) فيما يتعلق بتشجيع وتوبيخ الولاة والعمال، وذلك من خلال وصف وتحليل هذه القضية المهمة في خطب الإمام ورسائله. تشير نتائج هذه الدراسة إلى النقطة الأساسية المتمثلة في أن النهج العام للإمام في تشجيع الولاة والعمال وتوبيخهم يستند إلى تعاليم القرآن.

الكلمات المفتاحيّة: على (ع)، التشجيع، توبيخ الولاة، *نهج البلاغة*.

Abstract

Amir Mo'mennan (Imam Ali) (as) during the reign of the government had collisions with their agents, each of which represents a lesson for the human community. Part of these interactions in the two areas of praise of the governors of Imam and another part in the reciprocation of these individuals can be evaluated which has been done in different cases under the conditions of the ruling. On the other hand, part of these accolades was in the life of the governor and part after his death, along with elements such as the expression of some of the provincial qualities, such as courage and loyalty, and finding a high place for the Imam. In some other accolades, there is a warning to the governor and the need to take into account some civil rights of citizens. His rebuke has been diverse and of varying severity and weakness in various ways, including forms of governor's misconduct, summons, warnings and threats.

Keywords: Imam Ali; praise; Repent; Governors.

المقدمة

للتربية والتعليم في الدين الإسلامي مكانة خاصة، حيث اعتبر القرآن الكريم أن أهم أهداف بعثة الرسول محمد (ص) يتمثل في التعليم: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنينَ إِذْ بَعَثَ فيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ" (آل عمران/١٦٤)، وقد دعا رسول الله (ص) المسلمين إلى العلم والتعلم طوال عمرهم "اطلبوا العلم من المهد إلى اللّحد" (پاينده،١٣٨٢: ٢١٨).

ولا شك في أن أحد أهم تبلور التربية والتعليم يتمثل في التواصل مع الآخرين، وهو أمر ذو أهمية قصوى في جميع المجالات، بما في ذلك في مجال العلوم الاجتماعية، حتى أن الفيلسوف الألماني كارل ياسبرس[1] قال "أعلى إنجاز بشري في العالم هو العلاقة بين الشخصية والشخصية" (بولتون، ١٣٨٣: ٢٤).

وأكد أئمة الدين أيضًا على هذا الأمر المهم، وجعلوه أحد برامجهم الرئيسية، حيث تطرق أمير المؤمنين (ع)، في جزء من تعامله مع ولاته وعماله إلى وصف شخصية الحاكم وأدائه. لأن أمير المؤمنين ورغم أنه في منصب الحاكم، لكنه أيضًا في مقام إمام المؤمنين، وهو المقام الذي يعمل فيه على تعليم الناس ويشجعهم على الخير ويردعم عن الشر.

في غضون ذلك، فإن الولاة الذين تم تعيينهم من قبل الحكومة المركزية هم بشر وغير معصومين عن الخطأ ومعرضون لزلة القدم، فإنهم محط أنظار الآخرين. من زاوية أخرى، فإن تأديتهم لمهامهم والأهم من ذلك، وجهة نظر الحكومة حولهم، تلعب دورًا مهمًا في تشكيل وتعريف القواعد والتشوهات في السلوكيات الاجتماعية. وبالتالي، "كان (ع) يقوم بمتابعة أخلاق الولاة وطريقة استخدامهم لبيت المال وأشياء من هذا القبيل" (رضايي دواني،١٣٩٣: ٢٥٥) وكان يسعى لردع الولاة عن ارتكاب الخطأ.

تجدر الإشارة إلى أن وصف الإمام لولاته ومواقفه تجاههم كانت ذات سمة تشجيعية في بعض الأحيان، وقد أثنى (ع) عليهم، وأحيانًا ما كانت تتسم بالتوبيخ الذي يؤدي إلى لوم الإمام لهم على أعمالهم.

١. تشجيع الولاة

يشير مصطلح "التشجيع" في هذا المقال إلى مفهوم يتجاوز الثناء والمدح، ويشمل الاهتمام والإرضاء. تم تقسيم هذا النوع من التعامل إلى نوعين، تشجيع أثناء حياة الوالي وتشجيع بعد وفاته. كان كل من هذه التشجيعات، بعد ظهور سياق معين ومع عناصر أخرى، جزءًا من مدح الإمام (ع) استجابةً لسوء الفهم الذي حدث وبغية إزالته، وكان الجزء آخر دون مثل هذا السياق. سوف نتطرق إلى هذا الموضوع في السطور التالية.

١-١- التشجيع أثناء حياة الوالي

قام الإمام علي (ع) بتشجيع ولاته أثناء حياتهم، لأنه يجب أن يستجاب لأداء الإنسان ويجب تقدير أعماله وهو على قيد الحياة أو ذمها إذا كانت تستحق الذم.

١- ١- ١- التشجيع والتوضيح

شجع أمير المؤمنين عماله وولاته بطرق مختلفة، وأحد أنواع التشجيع كان يتمثل بالتشجيع مع التوضيح. يمكن للمرء أن يرى مثال هذه الطريقة في وصف الإمام علي (ع) لعامله محمد بن أبي بكر، فعندما سمع الإمام أن محمد قد تضايق بسبب عزله وتولية مالك بن الأشر على مصر، أشار إلى أن ما قام بفعله لم يكن بسبب توقع المزيد من الجهود منه أو تقليلًا من شأنه فقال: أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُك مِنْ تَسْرِيحِ الأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِك وإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِك اسْتِبْطَاءً لَك فِي الْجَهْدَ ولَا ازْدِيادًا لَك فِي الْجِدِّ ولَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يدِك مِنْ سُلْطَانِك لَوَلَّيْتُك مَا هُوَ أَيسَرُ عَلَيك مَئُونَةً وأَعْجَبُ إِلَيك وِلَايةً» (الرسالة ٣٤) وهكذا فقد قام الإمام (ع) بالحد من سوء التفاهم وأوضح له سبب عزله.

المثال الآخر الذي اقترن بتضايق العامل ومبادرة الإمام علي (ع) لإرضائه وتوضيح سبب ما قام به، حادثة والي البحرين[١] حيث أوضح الإمام (ع) له سبب عزله الذي يتمثل في رغبة الإمام بمرافقته له في معركته مع أهل الشام[٢] مبينًا أن السبب لا يمكن في عدم كفاءته،

1. Karl Jaspers

وهكذا فقد بين له سبب عزله ومدحه قائلًا « ونَزَعْتُ يدَك بِلَا ذَمٍّ لَك ولَا تَثْرِيبٍ عَلَيك فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايةَ وأَدَّيتَ الأَمَانَةَ فَأَقْبِلْ غَيرَ ظَنِينٍ ولَا مَلُومٍ ولَا مُتَّهَمٍ ولَا مَأْثُومٍ» (م.ن)

«ومدار الكتاب على إعلام عمر بن أبي سلمة بإنفاذ النعمان عوضا منه. ثمّ إعلامه بأنّ ذلك لم يكن عن ذنب صدر منه يستحقّ به الذمّ والعزل، وأنّه شاكر له بكونه أحسن ولايته وأدّى أمانته. ثمّ إعلامه بغرضه من عزله واستدعائه وهو الاستعانة به على عدوّه كلّ ذلك ليطمئنّ قلبه ويفارق الولاية عن طيب نفس.» (البحراني،١٣٦٢: ٩٤/٥)

وبتعبير آخر بما أن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله . (ابن أبي الحديد،١٩٥٩م: ١٧٣/١٦)، فقد استبدله بنعمان بن عجلان لحاجته اليه في حرب معاوية، لأنه يعتمد عليه في نصرة الحق والدين .(مغنيه، ١٤٢٧: ٥٦٥/٣) و بتعبير بعض الشارحين، لعلّ إحضار عمر بن أبي سلمة إلى جبهة صفّين باعتبار وجاهته وحرمته في المسلمين حيث إنّه قرشي ومهاجر ومن بني مخزوم وهم من سادات قريش يتنافسون بني هاشم في السيادة والشّرف (الهاشمي الخوئي، ١٤٠٠: ٧٩/٢٠) وهذا من أهمّ موانع اسلام أبي جهل (م. ن: ٨٠/٢٠).

١– ١– ٢– التشجيع والتحذير

ومن الحالات الأخرى التي شهدت تشجيع الإمام لعماله، الرسالة التي أرسلها بعد حرب الجمل[٣] إلى أحد ولاته في البلدان الإسلامية[٤]، حيث قام بتحذيره تحذيرات وقائية بالنظر إلى شخصيته وأدائه فقال: "وإِنَّ عَمَلَك لَيسَ لَك بِطُعْمَةٍ ولَكنَّه فِي عُنُقِك أَمَانَةٌ وأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَك لَيسَ لَك أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيةٍ ولَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ وفِي يدَيك مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ وأَنْتَ مِنْ خُزَّانِه حَتَّى تُسَلِّمَه إِلَيَّ" (الرسالة ٥). وبما أن هذا الأسلوب قد يؤدي إلى تضايق المخاطب، فقد بادر الإمام بعد ذلك إلى تشجيعه وأعرب عن أمله ألا يكون شر ولاته واختتم رسالته بالسلام[٥]. لكن جميع الشارحين لا يتفقون على أن في ذلك ثناءًا وتشجيعًا، فيقول قطب راوندي بأن الإمام لاطفه بعد عزله بسبب الخيانة[٦]. ولكل من ابن أبي الحديد[٧] وابن ميثم البحراني[٨] تفسير مشابه. وفسر البعض كلام الإمام بشكل مختلف بالنظر إلى كلمة لعل[٩].

١–١– ٣– التشجيع والثناء بالاستناد إلى حق اختيار المواطنين

إن السياق الآخر الذي عبر فيه أمير المؤمنين عن تشجيعه وتطييب قلب عماله وملاطفته لهم يستند إلى موقفه، لأنه من وجهة نظر الإمام (ع)، فإن المبدأ الأساسي هو حرية الأفراد في المقاربات الحزبية والسياسية والاجتماعية.

يبدو أن خطاب الإمام إلى والي المدينة[١٠] وتطييب قلبه ونصيحته له بألا يتأسف لزلة قدم بعض الناس[١١] يتم تقييمه في هذا الصدد، لأن الإمام قد راضاه فيما يتعلق بمن ذهب وذهبت مساعدته له[١٢]، ويرى بعض الشارحين «لما انتهى من حرب صفيّن ... شرع المهاجرون والأنصار المتخلّفون عنه في التسلّل إلى معاوية مثنى وفرادى ... فكأنّه طلب (ع) منه معالجة هذا الداء العضال بما رآه (ع).» (هاشمي خوئي، م. ن: ٣٩٥/٢٠)؛ لأن الإمام (ع) يرى أنه من غير الصحيح إجبار أحد على الالتزام بالحقيقة، «فكتب إليه بعدم التعرّض لهم وصرف النظر عنهم وتفويضهم إلى سوء عاقبتهم الّتي اختاروها لأنفسهم من الغيّ والضلال وهلاك الأبد. وإن كان من جزائهم عند الحكومات بسط العقوبة عليهم بالحبس وبمصادرة أموالهم وهدم دورهم.» (م. ن) ولكنّه (ع) عزّى عامله عن هذه المصيبة.[١٣]

ويشير بعض الشارحين بعد بيان سيرته الحميدة الصالحة وملاطفته للعمال وتطييب قلوبهم وتعزيتهم، أن الأنبياء يدعون دعوة الحق، ويقيمون الأدلة والبراهين على صدقها، ويدعون الناس إلى الإيمان بها عن علم وقناعة بلا جبر وإكراه[١٤] وهذا أمر طبيعي، لأن العقيدة وممارسة الدين لا تكون ولن تكون إلا في ظل الحرية التامة. (م. ن) ويعتبر أن هذه «الحرية» أساس في النظرة القرآنية والنبوية والإمامية، فهذا هو مبدأ القرآن والرسول والإمام، ولذا لم يكره أحدا على بيعته، ولا صدّ أحدا ممن بايعه عن

النكث والذهاب إلى حيث يشاء تماما كما لم يكره النبي الكريم (ص) أحدا على الاعتراف بنبوته (م. ن).

ولذلك فإن نهج الإمام هذا يقوم على مبدأ الحرية في الاختيار الذي يتمتع به كافة المواطنين، ويتسع نطاق هذه الحرية ليشمل المعارضين والأفراد الذي تمردوا على البيعة، فلم يجبرهم على البيعة قط[١٥]، وهذا هو النهج الذي اتبعه بعد حرب الجمل تجاه بعض الأسرى[١٦]. لذلك من الطبيعي ألا يأسف المرء من إعراض البعض مع وجود هذه النظرة.

١-٢- تخليد ذكرى العمال بعد وفاتهم

ولم يبادر أمير المؤمنين إلى ثناء الولاة والعمال أثناء حياتهم فحسب، بل قام بتخليد ذكراهم غير غافل عن أدائهم، فقام بتقديرهم. وقد ظهر هذا التقدير والمدح في حالات مختلفة ضمن سياقات متنوعة وسوف نتطرق فيما يلي إلى البعض منها بناءً على نهج البلاغة.

١- ٢- ١- التذكير بشجاعة العامل وولائه

لعل مالك الأشتر كان أكثر الشخصيات تأثيرًا بين عمال الإمام علي (ع)، فالوصف الذي وصفه به الإمام علي (ع) لم يحظى به أحد من عماله الآخرين، وأكبر مثال على ذلك ما قاله فيه بعد موته: رحم الله مالكًا، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله (ص) (ابن أبي الحديد، ١٩٥٩: ٩٨/١٥).

ومن ناحية أخرى، بعد أن بلغه خبر شهادته، كتب إلى والي مصر الجديد محمد بن أبي بكر مبينًا بعض جوانب شخصيته قائلًا: «إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُه أَمْرَ مِصْرَ كانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحًا وعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيدًا نَاقِمًا فَرَحِمَه اللَّه فَلَقَدِ اسْتَكْمَلَ أَيامَه ولَاقَى حِمَامَه ونَحْنُ عَنْه رَاضُونَ.» (الرسالة ٣٤) وسأل الإمام علي (ع) الله الرضوان عليه ومضاعفة الثواب له.[١٧]

بالإضافة إلى طلب المغفرة لمالك والتعبير عن منزلته الكبيرة والخاصة لدى الإمام، فقد بادر الإمام إلى وصف شجاعته وولائه الفريد «وقَالَ (ع) وقَدْ جَاءَه نَعْيُ الأَشْتَرِ رَحِمَه اللَّه مَالِك ومَا مَالِك واللَّه لَوْ كانَ جَبَلًا لَكانَ فِنْدًا ولَوْ كانَ حَجَرًا لَكانَ صَلْدًا لَا يَرْتَقِيه الْحَافِرُ ولَا يوفِي عَلَيه الطَّائِرُ» (م، ن).

١- ٢- ٢- المدح والتأكيد على المحبة

إضافة إلى مالك الأشتر، فقد خلد الإمام (ع) ذكرى بعض عماله الآخرين ومنهم محمد بن أبي بكر والذي تحدثنا عنه وعن مكانته لدى الإمام من قبل. لكن مدح محمد بن أبي بكر هنا يبين جانبًا آخر من شخصيته: «ومن كلام له (ع) لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه وقتل وقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ ... بِلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بن أبي بَكرٍ فَلَقَدْ كانَ إِلَى حَبِيبًا وكانَ لِي رَبِيبًا» (الخطبة ٦٨).

«وكان محمد ربيبه وخريجه، وجاريا عنده مجرى أولاده، رضع الولاء والتشيع مذ زمن الصبا، فنشأ عليه، فلم يكن يعرف له أبا غير علي، ولا يعتقد لأحد فضيلة غيره، حتى قال علي (ع) محمد ابن من صلب أبي بكر»؛. (ابن أبي الحديد، ١٩٥٩: ٥٣/٦) «وقَالَ (ع) لَمَّا بَلَغَه قَتْلُ مُحَمَّدِبنأَبِي بَكرٍ إِنَّ حُزْنَنَا عَلَيه عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِه إِلَّا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضًا ونَقَصْنَا حَبِيبًا» (الحكمة ٣٢٥).

وهكذا، نلاحظ أن الترابط والألفة بين غير الأقرباء، على الرغم من أنه يمكن أن يكون سببًا لانحرافهم، لكنه لا يؤدي مطلقًا إليه بالتأكيد، حتى لو كانت هذه العلاقة بين أب وولد، لأن ما يؤدي إلى تصنيف و تمايز الأشخاص هو اتجاهات الأفراد ومعتقداتهم وأفعالهم، وليست علاقة النسب، ووفقًا للقرآن الكريم، فإن اتجاهات الأفراد ومعتقداتهم وأفعالهم هي معيار كونهم من "أهل"[١٨] الشخص، وقد لا يكون ذلك حتى من أقرب الأشخاص مثل الولد، كما حدث في حالة ابن النبي نوح (ع).

في بعض الأحيان، يكون العكس صحيحًا، وعلى الرغم من حقيقة أنه لا توجد علاقة نسبية أو حتى قبلية مع شخص آخر قد يكون من عرق مختلف، لكنه يعتبر من الأهل بسبب عقيدته وأدائه مثل سلمان، وعلى الرغم من احتجاج بعض المتعصبين الجاهلين فهو من أهل النبي[١٩]. ولمحمد بن أبي بكر حكاية مشابهة، ورغم أن والده هو أبو بكر، لكنه يعتبر ابنًا لأمير المؤمنين، لدرجة أن الإمام مدحه وقدره بعد وفاته.

١-٢- ٣- تحليل أسباب ثناء وتشجيع العمال

يمكننا الإشارة إلى بعض الأسباب التي دفعت بأمير المؤمنين

(ع) إلى تشجيع الولاة وتقديرهم في حياتهم ومماتهم:

٢ . النظرة العطوفة لأمير المؤمنين (ع) إلى عماله

لقد تربى الإمام علي (ع) في كنف رسول الله مظهر الرحمة الإلهية الذي بعث رحمة للعالمين[٢٠] وكما كان رسول الله (ص) يتعامل برأفة وعطف مع المؤمنين[٢١]، فقد كان الإمام علي (ع) كذلك[٢٢]، فقد كان يعتبر أن التودد هو نصف العقل[٢٣]، وكان يوصي عماله بذلك ويطالبهم بالتودد إلى الرعية والعطف عليهم والرأفة بهم فكان يقول «ووَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيهِمْ وتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ» (الرسالة ٥٣).

٣ . ضرورة تقدير الصالحات من الأعمال

يستند المكون الثاني الأخلاقي التربوي في نهج الإمام (ع) إلى مبدأ عقلاني يقبله الجميع، وهو ضرورة تقدير الصالحات من الأعمال والسلوك الجيد، الأمر الذي ينشأ عن رد فعل باطني للإنسان، وله مكانة مرموقة في الأدب الديني وسلوك القادة الدينيين، وتتجاوز هذه المكانة حدود الدين والالتزام بدين الإسلام. لذلك، في كتابه السماوي، يدعو الله تعالى إلى تقدير الأعمال الصالحة للآخرين، مثل إلقاء التحية: «وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا» (النساء/٨٦).

ويتجلى التأكيد على هذه التعاليم في سلوك رسول الله (ص) مع بنت حاتم الطائي وإطلاق سراحها واحترامه لها نظرًا لأخلاقها الحسنة[٢٤] وتقديرًا منه لكرم والدها حاتم الطائي «وقال رسول الله (ص) لعدي بن حاتم: إن الله دفع عن أبيك العذاب الشديد لسخاء نفسه» (مفيد، ١٤١٤: ٢٥٣).

٤. الجانب التربوي الأخلاقي

إن إحياء ذكرى الأشخاص المؤثرين والتعبير عن الجوانب الإيجابية في حياتهم له تأثير عميق على زيادة الدافع والهدف المجتمع. وفقًا لتعاليم القرآن، فإن إحياء ذكرى الأشخاص الذين يقودون المجتمع يؤدي إلى دروس وعبر يستفيد منها الآخرون[٢٥]، وبالتالي، يجسد في مختلف الحالات الآثار الهامة والمؤثرة في حياتهم، ويعبر عن ذلك بعبارات مثل "أنباء الرسل"[٢٦] و "أحسن القصص"[٢٧].

وطالما كان رسول الله (ص) يحيي ذكرى أصحابه والمقربين منه مثل زوجته خديجة التي كانت موضع حسد البعض.[٢٨]

واقتداءً برسول الله (ص)، فقد أكد أمير المؤمنين (ع) على ضرورة إحياء ذكرى الأعمال الصالحة وتقديرها فقال: «ووَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيهِمْ ... فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ وتُحَرِّضُ النَّاكلَ إِنْ شَاءَ اللَّه» (الرسالة ٥٣).

٢ – طرق التوبيخ التي اعتمدها الإمام علي (ع)

جنبًا إلى جنب مع التشجيع والمودة التي اعتمدها لأمير المؤمنين تجاه عماله، فقد قام في بعض الأحيان بتوبيخهم وعقابهم على أعمال وأفعال بليغة وبأشكال مختلفة. إن مثل هذا التوبيخ ينعكس بشكل ملفت للنظر في نهج البلاغة في مجال الشؤون المالية والاجتماعية.

٢– ١– اللوم في صورة التخطئة والاحتجاج

أثناء خلافة أمير المؤمنين (ع)، تمت متابعة بعض السلوكيات الاجتماعية للعمال بطريقة خاصة، مثل تصرف قام به عامل ولاية أو عدم مراعاته لأمر أخلاقي، مما يشير إلى حساسية أمير المؤمنين (ع) الخاصة لسلوك عماله وولاته، ومحاولته تصحيح هذا الخلل من خلال اتخاذ الإجراء المناسب وإرسال رسالة إلى الوالي، والتوبيخ والاحتجاج والتعبير عن عدم الرضا عنه.

المثال الأول في هذا المجال هو سلوك أحد الولاة وضعفه في الحفاظ على حدود الدولة الإسلامية، حيث قام الإمام (ع) بلوم عامله[٢٩] والاحتجاج على سلوكه وضعفه في الحفاظ على أرض «هيت»[٣٠] واعتبر تصرفه مصداقًا لقوله «فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَا وُلِّيَ وتَكَلُّفَه مَا كُفِيَ» (الرسالة ٦١)؛ واعتبر تصرفه خطًا وعجزًا «لَعَجْزٌ حَاضِرٌ ورَأْى مُتَبَّرٌ» (م.ن). وعبر له عن عواقب فعله[٣١] وطلب منه التكفير عن خطئه وإصلاحه وقال له: «وإِنَّ ... وتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ الَّتِي وَلَّيْنَاكَ لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا ولَا يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا لَرَأْيٌ شَعَاعٌ» (م.ن).

وعندما بلغه خبر عثمان بن حنيف الذي دعي إلى وليمة لدى أحد أثرياء البصرة، أرسل له الإمام رسالة بلغه فيها أن عرف بما حدث وأنه تعجب من سلوكه

فيقول«أَمَّا بَعْدُ يا ابْنَ حُنَيفٍ فَقَدْ بَلَغَنِى أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاك إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيهَا تُسْتَطَابُ لَك الأَلْوَانُ وتُنْقَلُ إِلَيك الْجِفَانُ ومَا ظَنَنْتُ أَنَّك تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ وغَنِيهُمْ مَدْعُوٌّ.» (الرسالة ٤٥) ويطلب منه التأمل في المكان الذي يجلس فيه وما يأكل منه.[٣٢]

٢-١- ١- التحليل

إن دراسة نص الرسالة بالنظر إلى التعاليم الدينية تقودنا إلى النقاط التالية:

أولًا، إن سبب لوم الإمام علي (ع) لعامله ليس تلبية الدعوة إلى الوليمة، لأن تلبية دعوة صاحب الوليمة أمر مطلوب في الدين الإسلامي وقد تم التأكيد عليه[٣٣]. إن السبب في اللوم هو قبول دعوة قوم لا يهتمون بفقرائهم ولا يكرمون سوى الحكام والأثرياء[٣٤]: «ووجه الخطاء في إجابة داعي هؤلاء أنّ تخصيصهم الأغنياء دون الفقراء بالكرامة والدعوة دليل واضح ... ومن كان كذلك فإجابته موافقة له على ذلك ورضى بفعله، وذلك خطاء كبير خصوصا من أمراء الدين المتمكّنين من إنكار المنكرات». (البحراني، ١٤٢٧: ١٠٣/٥)

في الواقع، أوصى الإمام (ع) عماله وولاته جميع المسؤولين الحكوميين على مر فترة حكمه بأنه لا ينبغي أن يغفلوا في حياتهم وفي تعاملاتهم مع المواطنين عن الفقراء والمحتاجين.

ثانيًا، إن التزام عمال الإمام (ع) بالاهتمام بالفقراء والمحتاجين في المجتمع أمر ضروري، بحيث يتمكن الحكام من تكييف حياتهم قدر الإمكان مع حياة الإمام ويهتمون بأحوال الفقراء. على الرغم من أن هذا الاقتداء والتكيف مع أسلوب الإمام غير ممكنين أبدًا، كما يشير هو نفسه[٣٥]، ولكن من من باب القاعدة العقلية التي تقول " الميسور لا يترك بالمعسور" فيجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في سياق الحياة والشؤون الاجتماعية من قبل العمال والولاة حيث يقول: «ولَكنْ أَعِينُونِى بِوَرَع واجْتِهَادٍ وعِفَّةٍ وسَدَادٍ»؛. (م.ن)

ومع ذلك، فمن الممكن التعبير عن الانزعاج والتضايق من الوالي في إطار التوبيخ، وهو نمط يستخدم في حالة الأشخاص الذين يكون مستوى توقع الإمام منهم أعلى من الولاة الآخرين، ويبدو أن هناك حاجة كبيرة إلى تحذيرهم أو توبيخهم.

من ناحية أخرى فإن "هذه الرسالة تعبر عن درجة دقة وحساسية الإمام علي (ع) في رصد ورعاية عمل وسلوك عماله، وأنه في هذه الحالة لا مجال للإهمال أو التسامح، ولا فرق بين نفسه أو القريب أو الغريب" (دلشاد تهراني، م. ن: دولت آفتاب، ٤٤١).

٢- ٢- التوبيخ ضمن إطار استدعاء الوالي

بالإضافة إلى الحالات المذكورة أعلاه، والتي غالبًا ما تكون شكلًا من أشكال التوبيخ في مجال الشؤون الاجتماعية، فإن الجانب المالي يخضع أيضًا لسيطرة دقيقة من قبل الإمام، فعندما كان يبلغ الإمام بأن أحد عماله مقصر في الشؤون المالية، كان يتعامل مع الموضوع بجدية.

أحد أبسط أشكال التوبيخ هو استدعاء المتهم واستجوابه الشخصي الذي أجراه الإمام ضد بعض الولاة، ومثاله استدعاء قاضي الكوفة[٣٦]، فقد رُوِي أَنَّ شُرَيحَ بنِ الْحَارِثِ قَاضِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) اشْتَرَى عَلَى عَهْدِه دَارًا بِثَمَانِينَ دِينَارًا فَبَلَغَه ذَلِك فَاسْتَدْعَى شُرَيحًا وقَالَ لَه بَلَغَنِى أَنَّك ابْتَعْتَ دَارًا بِثَمَانِينَ دِينَارًا ... فَنَظَرَ إِلَيه نَظَرَ الْمُغْضَبِ ... فَانْظُرْ يا شُرَيحُ لَا تَكونُ ابْتَعْتَ هَذِه الدَّارَ مِنْ غَيرِ مَالِك أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيرِ حَلَالِك فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيا ودَارَ الآخِرَةِ» (الرسالة ٣). وفضلًا عن ذلك فقد عبر الإمام عن ذمه لشراء منزل من غير المال الحلال وذكر أن الإنسان فانٍ ورغم ذلك فهو يبادر إلى الشراء[٣٧] كما أشار إلى الجوانب السلبية لهذا الأمر مشجعًا القاضي على تجنبه[٣٨].

ويمكننا أن نفسر تعامل الإمام (ع) مع هذه الحالة بالشكلين التاليين:

١) لم يكن لوم الإمام لقاضيه هنا من منطلق ارتكاب فعل حرام، بل بمعنى أنه لم يكن يتوقع من قاضيه ذلك، لأنه في رسالته إلى عثمان بن حنيف، تحدث عن ضرورة اقتداء أي مأموم بإمامه، فيقول في هذا الشأن: «أَلَا وإِنَّ لِكلّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يقْتَدِى بِه ... أَلَا وإِنَّ إِمَامَكمْ قَدِ اكتَفَى مِنْ دُنْياه بِطِمْرَيه ومِنْ طُعْمِه بِقُرْصَيه»

(الرسالة ٤٥) و يحلف «فَوَاللَّه مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْرًا ولَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْرًا ولَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْرًا ولَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْرًا» (م، ن). من الطبيعي أن شراء منزل بثمانين دينارًا أمر يتنافى مع هذا النهج، كما أن بعض المفسرين الآخرين قاموا بتفسير الأمر على المنوال نفسه «انه (ع) نظر إليه نظر مغضب، إنكارا لابتياعه دارا بثمانين دينارا، وهذا يدل على زهد شديد في الدنيا واستكثار للقليل منها، ونسبه هذا المشترى إلى الاسراف، وخوف من أن يكون ابتاعها بمال حرام» (ابن أبي الحديد، م. ن: ١٤/٣٠).

٢) سبب هذا اللوم هو شراء المنزل بطريقة غير شرعية ولا قانونية، لأنه ليس من المعقول أنه منع التعامل مع شؤون العالم للحصول على لقمة العيش، ولم يدع أحد أن الحكام الإلهيين قد ألقوا اللوم على شخص قام بعمل عقلاني، لأن هذا الموقف يتطلب الرهبانية المحظورة في الإسلام[٣٩]. ولبعض المفسرين الآخرين لنهج البلاغة التفسير ذاته حيث يعتقدون أن القاضي شريح قد اشترى المنزل بالرشوة وما شابه ذلك، مما أدى إلى إلقاء اللوم عليه من قبل الإمام، لا سيما وأن القضاة غالبًا ما لا يكونون أغنياء (هاشمي الخوئي، م.ن: ١٧/١٢٥).

٢- ٢- ١- تحليل

يبدو أن التفسير الثاني ينطبق على سيرة الإمام (ع) وسائر الأئمة المعصومين وكلامهم أكثر، لأنه «ليس منا من ترك دنياه لآخرته.» (الصدوق؛ من لا يحضره الفقيه، ١٤١٣: ٣/١٥٦/ح ٣٥٦٨) ؛ وروي عن رسول الله (ص) أن قال أن سعادة المرء المسلم في المسكن الواسع[٤٠]. وعن أبي جعفر (ع) قال: «من شقاء العيش ضيق المنزل» (الكليني، م. ن: ٦/٥٢٦/ح ٦).

ومن ناحية أخرى، رغم أن الإمام علي (ع) عبر في رسالته إلى ابن حنيف عن زهده في الدنيا وضرورة اقتداء ولاته وعماله به، لكنه يعبر في ذات الرسالة عن عدم قدرهم على القيام بذلك فيقول: «أَلَا وإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِك ولَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ واجْتِهَادٍ وعِفَّةٍ وسَدَادٍ» (الرسالة ٤٥). ومن هذا المنطلق فمن المستبعد أن يتوقع الإمام منهم هذه الدرجة من الزهد ويلومهم على تركها.

يتمثل التأكيد الآخر لهذا التفسير في تعامل الإمام (ع) فيما يتعلق بقبول الهدايا، لأن الهدية هي من المظاهر الدنيوية، وإذا كان الإمام يعارض كافة أنواع الجماليات والمظاهر الدنيوية، فلن يقبل الهدية أبدًا. ولكن هذا ليس هو الحال، فإذا كانت الهدية ذات جانب حرام، كان يرفضها موبخًا محضرها، كما هو الحال في تقديم الحلوى كرشوة من قبل الأشعث[٤١] وإلا لرحب به بشكل لائق كما حدث في استقبال أحد الصحابة بمناسبة عيد النيروز[٤٢].

٢- ٣- التوبيخ في إطار التحذير

بادر الإمام (ع) كذلك إلى التوبيخ في إطار تحذير المذنب، وأكبر مثال على ذلك رسالته إلى بعض عماله والتي عبر فيها عن تحقق سخط الله وغضب الإمام وخيانة الأمانة[٤٣]. عندما تلقى الإمام تقريرًا حول خطأ ارتكبه أحد عماله حذره بأن « حِسَابَ اللَّه أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ»[٤٤] دون أن يحكم بشكل قطعي حوله.

وفي مثال آخر،[٤٥] أرسل (ع) رسالة إلى أحد عماله يقول فيها «بَلَغَنِي عَنْك أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَه فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَك وعَصَيْتَ إِمَامَك أَنَّك تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْه رِمَاحُهُمْ وخُيولُهُمْ وأُرِيقَتْ عَلَيه دِمَاؤُهُمْ فِيمَنِ اعْتَامَك مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِك فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ لَئِنْ كَانَ ذَلِك حَقًّا لَتَجِدَنَّ لَك عَلَى هَوَانًا ولَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَانًا» (الرسالة ٤٣).

في ما يلي، يشير (ع) إلى حقيقة أن مثل هذا التقسيم للغنائم هو مثال على نقض حق الله تعالى، فردعه عن القيام بذلك وحذره من إعمار دنياه بتدمير دينه وإلا فسيكون بعد ذلك من الخاسرين[٤٦].

واعتبر أحد شارحي نهج البلاغة أن سلوك الوالي ناجم عن أسلوبه الخاطئ الكامن في «تقسّيم الخراج في بني قومه ... ظنّاً منه احتسابه عليهم من سهامهم في بيت مال المسلمين ... فبيّن (ع) أنّ الفيء من أيّ بلد يحوز فهو لجميع المسلمين ولا يختصّ بمن حضر ذلك البلد منهم ... واختيارها بيد الإمام» (الهاشمي الخويي، ١٤٠٠: ٢٠/٨٢).

المثال الثالث الذي تجدر الإشارة إليه في هذا المجال هو

تعامل الإمام مع شخص باسم «منذر بن جارود» حيث حذره من مغبة المبالغة في إكرام الأقرباء – الذي يعتبر بمثابة إعمار دنياه – هو بمثابة تدمير دينه وآخرته.[٤٧] ثم قال (ع): « ولَئِنْ كانَ مَا بَلَغَنِى عَنْك حَقًّا لَجَمَلُ أَهْلِك وشِسْعُ نَعْلِك خَيرٌ مِنْك ومَنْ كانَ بِصِفَتِك فَلَيسَ بِأَهْل أَنْ يسَدَّ بِه ثَغْرٌ أَوْ ينْفَذَ بِه أَمْرٌ أَوْ يعْلَى لَه قَدْرٌ أَوْ يشْرَك فِي أَمَانَةٍ أَوْ يؤْمَنَ عَلَى جِبَايةٍ» (الرسالة ٧١).

٢– ٣– ١– التحليل

إن الحالات الثلاث المذكورة أعلاه وهي التصرف في الأموال العامة لأغراض شخصية وتقسيم الغنائم بين الأقرباء والمبالغة في إكرام الأقرباء، يبين نوعين من التحذير الذي وجهه أمير المؤمنين:

أولًا: التحذيرات التي يغلب عليها الطابع الدنيوي، مثل خيانة الأمانة وعصيان الإمام وتدني مكانة الوالي لديه.

ثانيًا: التحذيرات التي يغلب عليها الطابع الأخروي، مثل نقض حق الله والتعرض لغضبه وعذابه وتدمير الدين والابتعاد عن الله وشدة عذابه والانتماء إلى فئة "الأخسرين أعمالًا" المذكورة في القرآن الكريم والتي تدل على فئة من الأفراد ذهبت جهودهم الدنيوية هباء الرياح وهم يظنون أنهم قاموا بعمل جيد[٤٨] وهم الذين أنكروا آيات الله فذهبت أعمالهم أدراج الرياح، ولن يقيم الله لهم قيمة يوم القيامة ومصيرهم جهنم وبئس المصير[٤٩].

يقول العلامة الطباطبائي في شرح عبارة "الأخسرين أعمالًا" «ثم الانسان في حياته الدنيا لا شأن له إلا السعي لسعادته ولا هم له فيما وراء ذلك فإن ركب طريق الحق وأصاب الغرض وهو حق السعادة فهو، وإن أخطأ الطريق وهو لا يعلم بخطأه فهو خاسر سعيا لكنه مرجو النجاة، وان أخطأ الطريق وأصاب غير الحق وسكن إليه فصار كلما لاح له لائح من الحق ضربت عليه نفسه بحجاب الاعراض وزينت له ما هو فيه من الاستكبار وعصبية الجاهلية فهو أخسر عملا وأخيب سعيا لأنه خسران لا يرجى زواله ولا مطمع في أن يتبدل يوما سعادة وهو قوله تعالى في تفسير الأخسرين أعمالا الذين: ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا» (الطباطبائى، د.ت: ٣٩٩/١٣).

٢– ٤– التوبيخ في إطار التهديد بالعقاب

بالإضافة إلى حالات التوبيخ في إطار التحذير وإلقاء اللوم على الوالي، كان الإمام في بعض الأحيان ينزل العقاب الشنيع بالجاني. لقد وجه الإمام اللوم الشديد بسبب تلقي تقارير عن الخيانة الاقتصادية وسوء السلوك. في بعض الأحيان، يمكن رؤية هذه الأمور في رسالة الإمام لأحد عماله[٥٠]، لأنه عندما تم إخطار الإمام بخيانة الوالي، كتب رسالة إليه مع تذكير بماضيه، ووجه إلى اللوم بشدة على هذه الخيانة واستغلال حسن ظن الإمام به[٥١].

ويتابع الإمام مشيرًا إلى قبح عمل واليه مذكرًا إياه بحساب يوم القيامة وتقوى الله ويهدده قائلًا: «أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ أَومَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ فَاتَّقِ اللَّه وارْدُدْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ فَإِنَّك إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِى اللَّه مِنْك لأُعْذِرَنَّ إِلَى اللَّه فِيك ولأَضْرِبَنَّك بِسَيفِى الَّذِى مَا ضَرَبْتُ بِه أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ النَّارَ ». ولا يكتفي الإمام بهذا الحد من التهديد بل يبين مثالًا افتراضيًا عن الحسن والحسين عليهما السلام وهما أحب الأفراد إليه[٥٢] قائلًا «وَاللَّه لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ والْحُسَينَ فعلًا مِثْلَ الَّذِى فَعَلْتَ مَا كانَتْ لَهُمَا عِنْدِى هَوَادَةٌ ولَا ظَفِرَا مِنِّى بِإِرَادَةٍ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا وأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا» (م.ن).

٢– ٤– ١– التحليل

يضرب الإمام (ع) مثالًا افتراضيًا لكي يبين مقصوده لعامة الناس حول الخيانة المالية وهو يشبه ما قاله رسول الله (ص) «والذي نفسُ محمدٍ بيدِه لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقت لقطعتُ يدها» (البخاري، ١٤٠١: ٩٧/٤ و مسلم النيسابوري، د.ت: ١١٤/٥)؛ وعلى الرغم من عدم الإشارة لهذا الحديث في الأوساط الشيعية، لكنه كلام ينطبق على ما قاله الإمام علي (ع)، وبناءً على صحيح بعض الباحثين في مجال التاريخ فإن المقصود بكلمة "لو" في هذا الحديث النبوي عدم حدوث الشرط بشكل جزمي كما جاء في القرآن الكريم «وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَينا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ» (الحاقه/٤٤–٤٦) و «وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِك» (آل عمران/١٥٩).

في النهاية، يجب أن نقول أن هذه الرسالة ورسائل

الإمام الأخرى تُظهر تأكيد الإمام على محاربة أي تلاعب بالممتلكات العامة وتوبيخ الولاة الخائنين والمذنبين وعقابهم، بغض النظر عن مقدار التلاعب أو الخيانة، كما جاء في الرسالة ٢٠ حيث أوضح (ع) أنه لا فرق بين القليل والكثير من حيث المبدأ في نهب بيت المال(٥٣)، وبغض النظر عمن ارتكب الخطأ، كما جاء في الرسالة ٤١، حيث استخدم هذه النبرة الحادة حتى تجاه قريبه ابن عباس. لكن تجدر الإشارة إلى أن حسم الإمام بعيد عن أي عنف كان سائدًا في ذلك الوقت، لأن للعنف العديد من الآثار السلبية، ويعتبر بعض علماء النفس أن لذلك آثارًا سيئة مثل زيادة المخاوف، وفقدان السيطرة، والشعور بالذنب وتأنيب الضمير، والابتعاد عن الصفات البشرية، والشعور بالغربة والعزلة والابتعاد عن الآخرين واحتمال إلحاق ضرر جسيم بالنفس (بولتون، ١٣٨٣: ١٩٤-١٩٧).

٣- النتيجة

إن تمجيد و توبيخ الولاة من قبل أمير المؤمنين (ع) هو من التعاليم المعرفية المتأصلة في القرآن الكريم. يتمتع الولاة والعمال الإسلاميون في المجتمع بمكانة قد أولاها الإمام علي (ع) أهمية خاصة في نهج البلاغة. من وجهة نظره (ع)، واحدة من أكثر الطرق فعالية لتشجيع الناس على القيام بالخير والعمل الصالح الإشارة إلى الأعمال الصالحة للمسؤولين.

إن طريقة تمجيد ولوم الأفراد طريق أشار إليها القرآن بأشكال مختلفة ولا شك في أن هدفها تشجيع الآخرين على العمل الصالح وتجنب القبائح، لأن نقل أخبار الرسل والأنبياء مع تمجيدهم هو العبرة(٥٤) والرحمة للمؤمنين(٥٥).

النقطة المهمة الأخرى في هذا الصدد هي الحاجة إلى إيلاء اهتمام خاص من قبل الوالي لمركزه الاجتماعي، لأنه من وجهة نظر الإمام، فإن أداء الوالي يعتبر أداء الإمام نفسه، والإمام شريك معه في هذا الصدد، وبالتالي يدعو أمير المؤمنين في خطاب إلى أحد العمال إلى التسامح مع الرعية والعطف عليهم: «فَارْبَعْ أَبَا الْعَبَّاسِ ... فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِك ويدِك مِنْ خَيرٍ وشَرّ فَإِنَّا شَرِيكانِ فِي ذَلِك» (الرسالة ١٨).

يمكننا القول أن الإمام أخذ بعين الاعتبار عدة نقاط في تمجيد العمال والولاة وتوبيخهم وهذه النقاط عبارة عن:

. الصراحة وعدم الخلط بين القرابة وشؤون الحكم

. التأكيد على اشتراكالحكومة المركزية في أداء الوالي وضرورة الانتباه إلى هذا الجانب من قبل الوالي وتنظيم سلوكه على أساسه

. تجنب الأحكام المتسرعة وتأجيل الحكم القطعي إلى ما بعد التحقيق والتحري

. تسليط الضوء على بعض سلوكيات الوالي، ومن الطبيعي أن يتجنبه الآخرون من العامة، لكن ينبغي على عامل الإمام النظر فيه بعناية، لأنه أقرب إلى الإمام ويجب أن يحاول أن يكون أقرب ما يمكن إليه

. ضرورة اعتبار الجدارة وتجنب الاهتمام المبالغ فيه للأقارب

. الحساسية وضرورة توخي الحذر والدقة في بعض المؤسسات والمهن مثل القضاء.

تقدير حسن السلوك والأعمال الصالحة للولاة والعمال الصالحين في جميع الأوقات، طوال حياتهم وبعد وفاتهم.

الهوامش

١. عمر بن أبي سلمة

٢. «فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ وأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي» (م، ن).

٣. على قول بعض الشارحين؛ «هذا الكتاب ... بعد انقضاء الجمل» (حسيني خطيب، ١٤٠٩: ١٩١/٣).

٤. اشعث بن قيس الوالى المنصوب من قبل عثمان على أذربيجان.

٥. «ولَعَلِّي أَلَّا أَكونَ شَرَّ وُلَاتِك لَك والسَّلَامُ» (م، ن).

٦ . «طيب بهذا قلبه بعد أن عزله لخيانة ظهرت عليه» (راوندي، ١٤٠٦: ١٨/٣).

٧. «وهو كلام يطيب به نفسه ويسكن به جأشه، لأن في أول الكلام إيحاشا له ... فاستدرك ذلك بالكلمة الأخيرة» (ابن أبي الحديد، ١٩٥٩: ٣٤/١٤).

٨. «ثمّ أراد ع تسكينه فقال ولعلّي لا أكون شرّ ولاتك لك» (البحراني، ١٣٦٢: ٣٥١/٤).

٩. مثل تفسير تواضع: «وكلمة «لعلّ» من الإمام (ع) على سبيل التواضع» (شيرازي، د.ت: ٤٣٥/٣)؛ و وتفسير التحذير بالسلوك

الصحيح «وفيه إيماء إلى أنه على الأشعث أن يستقيم على الطريقة وإلا رأى من الإمام ما يكره» (مغنيه، ١٤٢٧: ٣٨٩/٣).

١٠. سهل بن حنيف الأنصاري.

١١. «فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ ويذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ» (الرسالة ٧٠).

١٢. «وقوله: فلا تأسف إلى قوله: مددهم. تسلية له عمّا فاته من عددهم ومددهم» (البحراني، ١٣٦٢: ٢٢٦/٥).

١٣. «ولكنّه ع عزّى عامله عن هذه المصيبة الهائلة بما نبّه عليه من أنّهم أناس يفرّون من العدل إلى الظلم ...» (هاشمى خوئى، م، ن: ٣٩٥/٢٠).

١٤. (لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) البقرة/ ٢٥٦» (مغنيه، ١٤٢٧: ١٨٦/٤).

١٥. «وأرسل إلى أسامة بن زيد فقال له أسامة أنا لك طوع ولكن اعفني الخروج بالسيف فقال له علي لم أكره أحدا على بيعته وأن جميع من بايعه كان مؤثرًا له داعيًا إليه في ذلك»؛ مفيد، محمد بن نعمان، د.ت، الجمل، قم، انتشارات داوري، د.ط، ٦٦.

١٦. «أُخِذَ مَرْوَانُ بن الْحَكَمِ أَسِيرًا يوْمَ الْجَمَلِ ... قَالَا لَه يبَايعُك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ (ع) أَولَمْ يبَايعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيعَتِه إِنَّهَا كفٌّ يهُودِيةٌ لَوْ بَايعَنِي بِكفِّه لَغَدَرَ بِسَبَّتِه» الخطبه ٧٣.

١٧. «أَوْلَاه اللَّه رِضْوَانَه وضَاعَفَ الثَّوَابَ لَه» (م، ن).

١٨. قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِح (هود/٤٦).

١٩. «فَدَخَلَ عُمَرُ ... فَقَالَ مَنْ هَذَا الْعَجَمِيُّ الْمُتَصَدِّرُ فِيمَا بَيْنَ الْعَرَبِ فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمِنْبَرَ فَخَطَبَ فَقَالَ ... سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْت» (مفيد، ١٤١٤: ٣٤١).

٢٠. «وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ» (الأنبياء/١٠٥).

٢١. «بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» (التوبة/١٢٨).

٢٢. «وقَالَ (ع) وقَدْ عَزَّى الأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ عَنِ ابْنٍ لَه يَا أَشْعَثُ» (الحكمة٢٩١)؛ و به هنگام محاصره مردم و منع آب از خليفه سوم، او را از تشنگى نجات داد؛ «وعلم أهل المدينة ... أن عثمان قد كتب إلى أهل الشام ... فلجوا فى حصاره ومنعوه من الماء،... وبلغ ذلك عليا ... فأرسل إليه على ثلاث قرب من الماء مع نفر من بنى‌هاشم ... فأوصلوا إليه الماء» (ابن اعثم، ١٤١١: ٤١٧/٢).

٢٣. «التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ» (الحكمة ١٤٢).

٢٤. «فتصيبت ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله (ص) في سبايا من طئ ... فقالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد: فامنن علي من الله عليك ... فقال (ص) قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك ... فجئت فقلت يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني وحملني وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام» (ابن كثير، ١٤٠٨: ٧٦/٥).

٢٥. «حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ... لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ» (يوسف/١٠٩ـ١١٠).

٢٦. «وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ» (هود/١٢٠).

٢٧. «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ» (يوسف/٣).

٢٨. «عن عائشة ... قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله (ص) إياها» (البخاري، ١٤٠١: ٢٣١/٤).

٢٩. كميل بن زياد النخعي.

٣٠. الأنبار بلدة على شاطىء الفرات الشرقي، ويقابلها على الجانب الآخر هيت (صبحي صالح فى حاشيته على كلام الامام ، ٥٧٤)؛ هِيتٌ موضع على شاطئ الفُرات (ابن منظور، ١٤٠٥: ١٠٧/٢).

٣١. «فَقَدْ صِرْتَ حِسْرًا لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ غَيْرَ شَدِيدِ الْمَنْكِبِ ولَا مَهِيبِ الْجَانِبِ ولَا سَادٍّ ثُغْرَةً ولَا كَاسِرٍ لِعَدُوٍّ شَوْكَةً ولَا مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ ولَا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِه» (م، ن).

٣٢. «فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُه مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ» (الرسالة ٤٥).

٣٣. انظر: (برقى، ١٣٧١ق: ٤١١/٢-٤١٠/ حديث ١٤٧-١٣٩)؛ على سبيل المثال في الحديث ١٤٠ نلاحظ: «عن أبي عبد الله (ع) قال: من حق المسلم على المسلم أن يجيبه إذا دعاه».

٣٤. «أَنَّك تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ وغَنِيهُمْ مَدْعُوٌّ» (الرسالة ٤٥).

٣٥. «أَلَا وإِنَّ لِكلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يقْتَدِي بِه ... أَلَا وإِنَّكمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِك» (الرسالة ٤٥).

٣٦. شريح بن حارث المعروف بـ«شريح القاضى».

٣٧. «هَذَا مَا اشْتَرَى عبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ» (الرسالة ٣).

٣٨. «اشْتَرَى مِنْه دَارًا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ ... فِيمَا اشْتَرَى مِنْه مِنْ دَرَك» (م، ن).

٣٩. «قال رسول الله (ص) ليس فى أمتى رهبانية»؛ (الصدوق، الخصال، ١٣٦٢: ١٣٨)؛ «عن أبي عبد الله (ع) قال ولا رهبانية» (الكليني، م، ن: ١٧/٢/ح ١).

٤٠. «قال رسول الله من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع» (م، ن: ٥٢٦/٦/ح ٧؛ و انظر: م، ن: ٥٢٥/ح ١).

٤١. وأَعْجَبُ مِنْ ذَلِك طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا

ومَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا كأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيةٍ أَوْ قَيئِهَا فَقُلْتُ أَصِلَةٌ أَمْ زَكاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذَلِك مُحَرَّمٌ عَلَينَا أَهْلَ الْبَيتِ فَقَالَ لَا ذَا ولَا ذَاك ولَكنَّهَا هَدِيةٌ فَقُلْتُ هَبِلَتْك الْهُبُولُ أَعَنْ دِين اللَّه أَتَيتَنِى لِتَخْدَعَنِى» (الخطبه ٢٢٤).

٤٢. «اتى على (ع) بهدية النيروز، فقال (ع) ما هذا؟ قالوا يا امير المؤمنين اليوم النيروز، فقال (ع) اصنعوا لنا كل يوم نيروزا»؛ (الصدوق، من لا يحضره الفقيه، م، ن: ٣/٣٠٠/ح ٤٠٧٣)؛ «ودعاه بعض من كان يأنس إليه إلى حلواء عملها يوم نوروز فاكل وقال لم عملت هذا فقال لأنه يوم نوروز فضحك وقال نوروزا لنا فى كل يوم إن استطعتم» (ابن أبي الحديد، ١٩٥٩: ١١/٢٤٨).

٤٣. «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِى عَنْك أَمْرٌ إِنْ كنْتَ فَعَلْتَه فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّك وعَصَيتَ إِمَامَك وأَخْزَيتَ أَمَانَتَك» (الرسالة ٤٠).

٤٤. «واعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللَّه أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ» (م، ن).

٤٥. مصقله بن‌هبيره شيبانى والي اردشير خره – فيروزآباد– من مدن إيران، وكان من كبار نجد و من قبيلة بني شيبان بوده (الهاشمى الخوبى، ١٤٠٠ :٢٠/٨٢).

٤٦. «فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّك ولَا تُصْلِحْ دُنْيَاك بِمَحْقِ دِينِك فَتَكونَ مِنَ الأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا» (م، ن).

٤٧. «تَعْمُرُ دُنْيَاك بِخَرَابِ آخِرَتِك وتَصِلُ عَشِيرَتَك بِقَطِيعَةِ دِينِك» (م، ن).

٤٨. «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَياةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يحْسِنُونَ صُنْعًا» ا(لكهف/١٠٣ . ١٠٤).

٤٩. «أُولَئِك الَّذِينَ كفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يوْمَ الْقِيامَةِ وَزْنًا» (الكهف/١٠٦).

٥٣. مخاطب هذه الرسالة هو عبد الله بن العباس ابن عم الإمام علي (ع) لكن البعض يعتبر أن شأنه أعلى ويقولون أن الخطاب موجه لشقيقه عبيد الله بن العباس. يعتبر البحراني أن القولين غير مسندين، سواء فيما يتعلق بابن العباس حيث نلاحظ أن الإمام على (ع) يضرب مثالًا افتراضيًا عن إمكانية تخلف ولديه الحسن والحسين عن الأنظمة والقوانين فلا يستبعد أن يفعل ذلك ابن العباس وهو غير معصوم. ومن ناحية أخرى فإن عبيد الله ابن العباس كان عاملًا لعلى (ع) في اليمن ولا يتعلق هذا المثال به (البحراني، ١٤١٤: ٥/٨٩–٩٠) ويبدو أن التفسير المشهور صحيح.

٥١. «فَلَمَّا رَأَيتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّك قَدْ كلِبَ ... وحُنْتَه مَعَ الْخَائِنِينَ فَلَا ابْنَ عَمِّك آسَيتَ ولَا الأَمَانَةَ أَدَّيتَ» (الرسالة ٤١).

٥٢. «ووَجَدْتُك بَعْضِى بَلْ وَجَدْتُك كلِّى»؛ الرسالة ٣١؛ و ر.ك: «خرج علينا أمير المؤمنين ... ويده فى يد ابنه الحسن (ع) وهو يقول ... خير الخلق بعدى وسيدهم ابنى هذا، ... وخير الخلق وسيدهم بعد الحسن ابنى أخوه الحسين» صدوق، كمال الدين، ٢٥٩.

٥٣. «لَئِنْ بَلَغَنِى أَنَّك خُنْتَ مِنْ فَىءِ الْمُسْلِمِينَ شَيئًا صَغِيرًا أَوْ كبِيرًا»؛ «اگر مرا خبر رسد كه تو در فييء مسلمانان اندك يا بسيار خيانت كرده‌اى» الرسالة ٢٠.

٥٤. «لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الْأَلْبَابِ» (يوسف/١١١).

٥٥. «وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يؤْمِنُونَ» (م، ن).

المصادر

القرآن الكريم.

نهج البلاغة. (١٣٨٧ق). تجميع السيد الرضي، محمد بن حسين، تحقيق صبحى صالح، بيروت

ابن أبي الحديد (١٩٥٩ق). *شرح نهج‌البلاغة*. تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية.

ابن اعثم (١٤١١ق). *الفتوح*. بيروت: دار الأضواء

ابن كثير (١٤٠٨ق). *البداية و النهاية*. تحقيق علي شيري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى

ابن منظور (١٤٠٥ق). *لسان العرب*. قم: نشر أدب الحوزة.

البحراني، ابن‌ميثم (١٣٦٢ش). *شرح نهج البلاغة*. قم: مركز النشر لمكتب الإعلام الاسلامي، الطبعة الأولى.

البخاري (١٤٠١ق). *الصحيح البخاري*. بيروت: دار الفكر.

برقى، احمد بن محمد بن خالد (١٣٧١ش). *المحاسن*. قم: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية.

بولتون، رابرت (١٣٨٣ش). *علم النفس للعلاقات الإنسانية*. ترجمه حميدرضا سهرابي، طهران: دار الرشد، الطبعة الثانيه.

پاينده، ابوالقاسم (١٣٨٢ش). *نهج الفصاحة*. طهران: دنياى دانش، الطبعة الرابعة.

الحسينى الخطيب، السيد عبد الزهرا (١٤٠٩ق). *مصادر نهج البلاغة وأسانيده*. دار الزهراء: بيروت، الطبعة الأولى.

دلشاد طهرانى، مصطفى (١٣٧٩ش). *حكم الشمس*. طهران: دار دريا، الطبعة الاولى.

الراوندي، قطب‌الدين (١٤٠٦ق). *منهاج البراعة في شرح*

نهج البلاغة، تحقيق السيد عبد اللطيف كوهكمري، قم: مكتبة آية الله المرعشي.

الرضايى دواني، مجيد (۱۳۹۳ش). *أمير المؤمنين حسب رواية نهج البلاغة*. طهران: نگاه معاصر، الطبعة الأولى.

الشيرازي، السيد محمد (د. تا). *توضيح نهج البلاغة*. طهران: دار تراث الشيعة.

صدوق، محمد بن على بن بابويه (۱۳٦۲ش). *الخصال*. تصحيح و تعليق علىأكبر غفارى، قم: مكتب الإعلام الإسلامي التابع للحوزة العلمية في قم.

ـــــــ. (۱۳۹٥ق). *كمال الدين و تمام النعمة*. طهران: دار الإسلامية، الطبعة الثانية.

ـــــــ. (۱٤۱۳ق). *من لا يحضره الفقيه*. قم: مكتب الإعلام الإسلامي التابع للحوزة العلمية في قم.

الطباطبائى، السيد محمد حسين (د. تا). *الميزان في تفسير الميزان*. قم: مكتب الإعلام الإسلامي التابع للحوزة العلمية في قم.

العاملي، السيد جعفر مرتضى (د. تا). *الصحيح من سيرة الإمام علي (ع)*. قم: ولاء المنتظر.

عبده، محمد (۱۳۷۰ش). *شرح نهج البلاغة*. قم: دار الذخائر، الطبعة الأولى.

فتال النيشابوري، محمد بن احمد (۱۳۷٥ش). *روضة الواعظين و بصيرة المتعظين*. قم: انتشارات رضي، الطبعة الأولى.

الكليني، محمد بن يعقوب (۱٤۰۷ق). *الكافي*. طهران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة.

مسلم النيسابوري. (د. تا). *الصحيح المسلم*. بيروت: دار الفكر.

مغنيه، محمد جواد (۱٤۲۷ق). *في ظلال نهج البلاغة*. قم: انتشارات كلمة الحق، الطبعة الاولى.

مفيد، محمد بن نعمان (۱٤۱٤ق). *الاختصاص*. تحقيق علي اكبر غفاري و سيد محمود الزرندي، بيروت، دار المفيد، الطبعة الثانية.

ـــــــ. (د. ت). *الجمل*. قم: انتشارات داوري.

الهاشمى الخويى، ميرزا حبيب الله (۱٤۰۰ق). *منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة و تكملة منهاج البراعة*. طهران: مكتبة الإسلامية، الطبعة الرابعة.

روش شناسی تشویق و تنبیه کارگزاران از دیدگاه امیر مؤمنان علی(ع) با تاکید بر نهج البلاغه

سید محمد حسن لواسانی[۱]، محسن قاسم پور[۲]

تاریخ دریافت: ۱۳۹۷/ ۰۸/ ۱۸ **تاریخ پذیرش: ۱۳۹۸/ ۰۲/ ۲۳**

۱. مدرس دانشگاه شاهد، دکترای تخصصی علوم قرآن و حدیث؛ smhl72@yahoo.com

۲. دانشیار دانشگاه کاشان (نویسنده مسئول)؛ ghasempour@kashanu.ac.ir

چکیده

امیرمؤمنان علی (ع) در دوران حکومت با کارگزاران خویش برخورد هایی داشتند که هر یک بیانگر درسی برای جامعه بشریت است. بخشی از این تعاملات در دو حوزه تشویق و تنبیه والیان امام قابل ارزیابی است. بخشی از این تشویق ها در حال حیات والی و بخشی پس از مرگ وی بوده و همراه با مؤلفه هایی همچون بیان برخی شایستگی های والی از قبیل شجاعت و وفاداری و یافتن جایگاهی والا نزد امام بوده است. شایسته یاد آوری است همراه با این تشویق ها هشدار به والی و لزوم در نظر گرفتن برخی حقوق مدنی شهروندان را نیز امیرمؤمنان علی (ع) مد نظر قرار داده اند. سرزنش های حضرت هم به همین منوال متنوع و دارای مراتب شدت و ضعف بوده در قالب های متعددی بروز یافته است که همگی در بردارنده نوعی تذکر وهشدارهایی نسبت به کارگزاران بوده است. جستار پیش رو با روش توصیفی تحلیلی روش امیر المومنین علی (ع) را در باره این موضوع مورد واکاوی قرار داده و مقصود از روش شناسی در این مقاله، آگاهی بر شیوه های مواجهه امام (ع) در خصوص تشویق و تنبیه کارگزاران است که از طریق توصیف و تحلیل فرازهای این مهم در خطب و نامه های امام آمده است. دستاورد این پژوهش، این نکته اساسی را خاطر نشان می سازد که رویه کلی امام در تشویق وتنبیه کارگزاران ریشه در آموزه های قرآنی دارد.

کلید واژه‌ها: امیرمومنان علی (ع)، تشویق ، تو بیخ (تنبیه) کارگزاران ، نهج البلاغه.